

## حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الدكتورة نجمه بانو ☆

الدكتور الحافظ عبدالغني الشيخ ☆☆

سعيده بانو ☆☆☆

إن العلامة محمد اقبال، شاعر الشرق والإسلام. قد كان شاعرا نابغة ومفكرا اسلاميا وفيلسوبا بارعا وهو الذي جاء بفكرة انشاء باكستان كما أنه نادى بالوحدة الإسلامية والحرية الشاملة للبشرية كافة، فهو قايد ومفكر في نفس الوقت ولكن، فوق ذلك كله، هو شاعر فذ قد تناول شتى فنون الشعر فأبدع فيها ومن ذلك مدحه لرسول الله ﷺ وهذا الجانب من شعره هو موضوع حديثنا الآن وسوف تناوله على وجه الإجمال والاختصاص لأنه لم يأت بديوان مستقل في المدح النبوي كما أنه لم ينتج المطولات من القصائد الشعرية على دأب شعراء العرب والعجم أو على منوال شعرائنا بالاردية وغيرها من اللغات الإسلامية إلا أن اقبال قد ابدع قطعاً شعرية رائعة وأبيات مفردة نادرة لن تجد لها مثالا أو نموذجا عند غيره من الشعراء وإنما هي أبيات وقطعات شعرية نجدتها متفرقة مبشرة في طيات دواوين اقبال الشعرية المتنوعة كما أننا نجد الأملى والحواهر متناثرة في أعماق البحار، وبرغم ذلك فاشعاره تمثل قمة فن المديح النبوي.

وقد مدح اقبال النبي ﷺ لأنه كان قد رزق بحبه الصادق العميق وقد كان هو صادقاً في مدحه له ﷺ لأنه كان قد يؤمن اقبال ايماناً صادقاً قويا ولأنه كان قد عرف بأن مستقبل المسلمين والناس جميعاً إنما هو يقصر على الإيمان والاتباع بما جاء به المصطفى ﷺ من الدين الإسلام الذي يضمن الحياة الكريمة الفاضلة للناس جميعاً.

ليس ايمانه الإيمان الحاف الخشب، الذي هو فقط عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب والمشاعر والنفكير، والإرادة والتصرف والحب والبغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام وقوى العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول الله، متفانيا في حبه مقتنعا بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لاتمسد الانسانية إلا به، وإن النبي ﷺ هو خاتم الرسل والبصير بالسبيل، وامام الكل. (١)

☆ الأستاذة المشاركة، جامعة الكلية الحكومية للنساء، مدينة تاؤن فيصل آباد.

☆☆ مدير إدارة اللغات جامعة جامشورو السنده.

☆☆☆ محاضرة جامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد.

كل شاعر له أسلوب شعري كالعاشق فقط لكن منهم يخيل نفسه محبا للرسول ورسول الله ﷺ محبوب له ويثنى على جماله وحسنه وملامع وجهه في الغالب ويتزك أوصافه الروحية وفضائله الأخلاقية، ولكن اقبال قد بدل الشعر المدحى بالشعر القومي، معبرا عن المصائب والآلام التي كان المسلمون يواجهونها في عصرهم فقد عرضها العلامة اقبال على رسول الله ﷺ واحدا بعد واحد وطلب منه حلها بدعائه لأمته۔

كان اقبال فيلسوفا، نابغا، مفكرا عظيما، شاعرا مبدعا، زعيما سياسيا ومحبا للنبي ﷺ. وليس له ديوان معين في مدح سيدنا رسول الله ﷺ ولا نجد له قصائد طويلة في المدح النبوي الشريف بل توجد الأبيات المدحية في شعره متفرقة۔

حذق اقبال علم الغرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمتهم وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب المصطفى ﷺ والقرآن۔ وكان اقبال طروبا في حب النبي ﷺ وهذا هو سبب انسجام شعره مع حياته ونجد كثيرا من المواقف في حياته التي تدل على علاقته الصادقة بالحبيب المصطفى ﷺ۔

يقول في ارمغان حجاز:

بحشم من نكسه آورده تست  
فروغ لا الاله آورده تست  
دو جوارم كن يصبح من رانسي  
شبنم راتاب مه آورده تست (٢)

”أنت الذي جلبت النظر إلى عيني أنت الذي جئت بنور “لا إله“ واجهني بصبح “من رأني“ (٣) فأنت الذي جئت بنور القمر لليلي.“

وكان العلامة يؤمن بأنه يمكن نجاح الدنيا والآخرة في حب الحبيب ﷺ ومن هذا دعا شاعرنا الأمة الإسلامية إلى حب الرسول وبين عظمة حب سيدنا رسول الله ﷺ فيمن أبياته الفارسية والأردية۔

بھٹکے ہوئے آہو کو پھر سوئے حرم لے چل  
”اهد الغزال الضمالم إلى المدينة المنورة“

وفي الأشعار الآتية يدعو اقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي ﷺ واتباع سنته – عليه الصلاة والسلام:

بمنزل كوش مانند مه نو  
دریس نیلی فضا هر دم فزن شو

مقام خویش اگر خواهی دریں دهر

بحق دل بند و راه مصطفی رو (۴)

”اقطع منازل سفرك كقمر جديد وأكبر في هذا الفضاء الأزرق لو أردت مقامك في هذا العالم  
فأوثق قلبك بالحق واسلك سبيل الحبيب المصطفى ﷺ.“

و يقول في ”پیام مشرق“:

هر که عشق مصطفی سامان اوست

بحر و بر در گوشه دامان اوست (۵)

”كل من يكون متاعه حب الحبيب المصطفى ﷺ يكون البر والبحر في طرف ذيله.“

هنا يحضر إقبال ضريح الحبيب ﷺ ويطلب منه كرمه وفضله بعد ذكر حرمانه:

بهر دهلیز تو از هندوستان آورده هم

سحده شوقی که خون گردیده در سیمائی من (۶)

”إليك جئت في وجود ومجد سيماء فوق تفور.“

وفی اسرار خود يقول:

در دل مسلم مقام مصطفی است

آبروی ما ز نام مصطفی است (۷)

”مهجة المسلم مثوى المصطفى عزة المسلم ذكرى المصطفى.“

و فی بعض أشعاره يشكو أقبال الى روح رسول الله ﷺ حزن الأمة الإسلامية وضياعها۔ ولم تبق حلاوة التمس و  
انطفاء شعلة الحياة والإيمان في نفوس العرب۔ و يقول:

لقد انتشر نظم امتك يا محمد! رسول الله ﷺ، و بمن يستدع ويلجاء المسلم الكئيب والحزين و الى من

يأوى و يستنجد منه عوناً؟ لقد سكن بحر العرب البهاج المضطرب، وغابت من الأمة العربية ذلك الحب والشوق

واللوع الذي عرفت به فالي من اشكو حزني و المي؟ وما ذا يفعل حادي امتك، و قد ضلَّ سبيله، و انقطع من القوافل

وغابت المطايا و قد انتهى زاده و متاع السفر بالله! كل لي ما ذا يفعل رائد امتك و حامل دعوتك و الى ائى مكان

يخلو سبيله، و الى من يغادر و اين يجد ركبته؟

یخاطب اقبال الأمة الإسلامية داعياً إلى حبّ الحبيب ﷺ ويقول:

حرز جان کن گفتمہ خیر البشر

ہست شیطان از جماعت دور نز (۸)

”واحفظن ما قاله خیر البشر کل شیطان من الجمع نفر.“

وفی المنظومة ”ایک حاجی مدینے کے راستے میں“ یقص قصّة الشاب الذی خرج من بیته قاصداً زیارة المدینة المنورة۔ وفی الطریق نبهت قافلته وقتل ذالک الشاب۔ ثمّ يعرض الشاعر أمامنا مشاعر الحاج الآخر ويشجّعه باستمرار سفره ويقول لنفسه ألا تخف لأنّ :

خوف جاں رکھتا نہیں کچھ دشت پیائے حجاز

ہجرت مدفون میٹھ میں یہی مخفی ہے راز (۹)

”لا يخاف الذاهب إلى القفار على حياته وتستجلى هذا السر من هجرة رسول الله ﷺ.“

وفی ”شفاخانہ حجاز“ یلقن اقبال درس محبة النبی ﷺ بأسلوب بدیع عند ما یطلب أحد الواعظین من اقبال معونات مالية لتأسيس المستشفى فی الحجاز، یحیب اقبال قائلاً :

اوروں کو دیں حضور! یہ پیغام زندگی

میں موت ڈھونڈتا ہوں زمین حجاز میں (۱۰)

”یا سیدی! بشر بالحياة غيري، أما أنا فأتمنى أن أموت في أرض الحجاز المقدسة.“

وكان اقبال يتخيل أنه مسافر الى مكة والمدینة - شرفهما الله - یسير به الركب على رمال و عساء، يتخیل، بشدة شوقه وحبّه، أنها انعم من الحریر و ان کل ذرة من ذراتها قلب یخفق، فیطلب من السائق أن یمشی رویداً ویرفق بهذه القلوب الخفاقة۔ ثم یسعد بالمثل بین الرسول فیصلی ویسلم علیه بما یفتح الله به علیه۔ وینتہز الفرصة، فیحدّثه عن نفسه، و بلادہ، و الفترة التي یعيش فیها، وعن امته، وعن الازمات، والمشکلات التي تعانیهما، و ما فعل بها الزمان و طوارق الحدثنان۔ (۱۱)

وفی المنظومة ”جواب شکوی“ نجد أروع نماذج فی مدحه ﷺ يقول :

توت عشق سے ہر پست کو بالا کر دے

دہر میں ام محمد سے اُجالا کر دے (۱۲)

”بقوّة العشق سيطر على كل شئ فباسم محمد ﷺ شمس البرايا.“

ويقول في موضع آخر: (۱۳)

عقل ہے تیری سپر، عشق ہے شمشیر تیری  
میرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تیری  
ما سوی اللہ کے لئے آگ ہے تکبیر تیری  
تو مسلمان ہو تو تقدیر ہے تدبیر تیری  
کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں  
یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (۱۴)

”خلافة هذه الأرض استقرت بمحمدك وهو للدنيا سماء وفي تكبيرك القدسي يبدو صغيرا كل  
ما ضمّ القضاء فيا من هبّ للإسلام يدعو وأيقظ صدق غيرته الوفاء سترفع قدرك الأقدار حتى  
تشاهد أنّ ساعدك القضاء وقيل لك احتكم دنيا وأخرى وشأنك والخلود كما تشاء.“

زار اقبال قبر حکیم سنائی عند زیارتہ افغانستان فی نومبر ۱۹۳۳ م وأنشد الغزل الذی فی آخره أبيات  
عديدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

عجب کیا گرمہ و پروین مرے ٹچیر ہو جائیں  
کہ بر فتراک صاحب دولتے ستم سر خود را (۱۵)

”إن أصيد القمر والنجوم فلا عجب فيه لأنني صرت صيد حبيبي وصاحبى.“

وہ دانائے سبل ختم الرسل مولائے کل جس نے  
غبارِ راہ کو بخشا فروغِ وادی سینا

”إنه هو علام سبيل الهداية وخاتم النبيين ومولا وامام الكل الذي وطأت قدمه الحصباء  
واعطى ذرات رمل المدينة المنورة شرفا يضاهاى شرف واد سيناء.“

نگاہِ عشق و مستی میں وہی اوّل وہی آخر  
وہی قرآن وہی فرقان وہی یٰمٰین وہی طہ

”هو الأوّل (فى الخلق) والآخر (فى البعث) عين الحب والغرام، وهو القرآن والفرقان وهو

الذی یسْمَى یَسَ وَطَلَّ۔“

ولقد تناول اقبال واقعة المعراج وهذه معجزة مهمة في التاريخ الاسلامي وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ مليئة بالأبحاث عنها۔

وقد أدرك اقبال بعد تفكير حقیقة جوهرية في هذا المعراج ربّما قد تكون خفيت على كثير من المسلمين فيقول:

سبق ملا ہے یہ معراج مصطفیٰ سے مجھے  
کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں (۱۶)

”قد علمت من معراج النبی - ﷺ - أن البشر يستطيع أن يتقلب على السموات العلی۔“

ويقول نجيب الكيلاني: (۱۷)

ان الذرة الضئيلة الهزيلة اذا سرى في كيانها الشوق لاقت الصقر القوى الحسور، ساخرة منه هازئة بقوته، فيقرّ من امامها، ولا عجب في ذلك، فانّ الحماس قد قلب أنفاسها الوادعة الى شرر متقد، وهكذا المسلم الحق اذا ما اعتصم بالشوق والعشق وكانت له غايات ومقاصد أصبح كالسهم المنطلق الذي تسمو غايته عن التوافه والصغائر، فهي غاية لا شبيه لها غير الكواكب، في علوها، وفي المعراج أسرار هذا العشق، و مغزى قوة الروح العاشقة۔

وذرة طار فيها الشوق صاعلة

تغير في عرصات الشمس والقمر

يا الموج.... تلقى الصقر مقدمة

دراجة تملأ الأنفاس من شرر

المسلم السهم والأفلاك غايته

سراير الروح في المعراج فادكر

ويتبع اقبال نفس الخطوات التي سار عليها سيدنا حسان بن ثابت وكل لفظ يخرج من قلمه

يحمل رسالة حب الحبيب ﷺ.

يقول:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیرا وجود کتاب

گنبد آگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب

”يا رسول اللّٰه! إن علم اللوح والقلم من علومك، وإن شخصية قرآن صامت، وإنك محیط

بالآفاق بعلمك وكرمك ورحمتك، والسماء الزرقاء كالحجاب بين يدي سعتك۔“

## أسلوب اقبال في مدح النبي ﷺ :

يقول الأستاذ شفيع منصور عن شعر اقبال :

” إنه خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر رسول الله ﷺ ينسى

نفسه.“ (١٨)

لم يزل حب النبي ﷺ يزيد ويقوى مع الايام، حتى كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة = على منورها الف سلام = فاضت عينه، ولم يملك دمه. وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى- ” أنت غني عن العالمين وأنا عبدك الفقير فاقبل معذراتي يوم الحشر، وان كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب ان تحاسبني بنحوه من المصطفى ﷺ، فاني استحي ان انتسب اليه واكون في أمته، واقترب هذه الذنوب المعافى- (١٩)

- يظهر في شعره لوعة حبه للنبي ﷺ وتدور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته لسيدنا رسول الله ﷺ عن هذه الأحوال-
- ويرى اقبال أن مقصود إيجاد الخلائق هو رسول الله وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح سيدنا رسول الله ﷺ وأحوال الأمة الإسلامية وهو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح النبي ﷺ وابتكر صوراً جديدة في الثناء على النبي ﷺ والتي بدأها أساساً الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين الحالي إلا أن اقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة - وتوجد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات ”ذوق شوق“ و”بلال“، و”حضور رسالت مآب مين“، و”صديق“ وغيرها-
- يذكر اقبال أحياناً وقائع من التاريخ الاسلامي وإلى الجانب الآخر يذكر سير أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ خصوصاً سيدنا بلال - ويقارن بينه وبين الاسكندر والقيصر ويثبت أن حب الحبيب ﷺ أفضل من السلطة والمناصب ويذكر شهداء طرابلس وعلاقة أصحاب رسول الله ﷺ معه ولا نجد هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستقى ذلك ذكر مآثر وبطولة سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه- وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير على الناس-

- في بعض الأحيان نحده بمدح سيدنا رسول الله ﷺ بطريقة التي مدحه بها ربه في القرآن :

آنكه مهتاب از سر آكشش دويم  
رحمت او عام اخلاش عظيم (٢٠)

وفي هذا البيت يبين اقبال خلق سيدنا رسول الله ومشييرا إلى الآية القرآنية :

”وإنك لعلى خلق عظيم.“ (٢١)

يقول السيد يونس شاه : (٢٢)

” وأول هدف من المدح هو اظهار عظمة سيدنا رسول الله وإيضاح أهمية وضرورة بعثه أمام

الناس. ومن هذه الناحية يستحق شعر اقبال كله أن يوصف بمدح سيدنا رسول الله-

وبالأسلوب الذى يجعل مقصد النبوة وعظمة الرسالة - موضوع شعره - نادر فى تاريخ الشعر-“

- أعطى إقبال شعر مدح الحبيب المصطفى البصيرة الحكمية ولا يقص لنا فى شعره التذنى والعروج للأمة

الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هى السمات العظيمة التى لا يوجد فيها كقولها ليس

فى الشعر الأردوى فحسب بل فى الشعر العربى والفارسى أيضاً.

- أخذ اقبال الأسلوب الشعرى فى مدح رسول الله من النظامى، والرومى والحامى، والسعدى، والأنوارى،

والعرفانى، والخطار، وبيدل وغى كاشميرى، ومومن وشهيدى، وسودا، وأمير خسرو، هؤلاء هم الشعراء الذين

قد تلقى العلامة اقبال منهم منهمهم فى التعبير عن الحب النبوى ﷺ -

فكان شعره فى النبى الكريم ﷺ من أبلغ اشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه، و عسارة عمله و تجاربه، وكان

تقيرا عن امته. و تعبيرا عن عواطفه-

وجملة القول ان اقبال كان شاعر النبى فى شبه القارة الهندية وشعره ملئى بحب النبى والفكر القرآنى-

كما قال استاذنا الفاضل الدكتور ظهور اظهر فى مقدمة كتابه اقبال العرب على دراسات اقبال : (٢٣)

” أما شعر اقبال فهو شعر اسلامى خالص بمعنى الكلمة لأنه يقوم على الرسالة الخالدة التى

جاء بها النبى العربى محمد ﷺ وهو يقوم على الفكر القرآنى الطاهر فمنه اتخذ أسس الحياة و

القيم الخلقية و المثل العليا و منه استعار المعانى والأفكار أنك لتقرأ شعره الأردى والفارسى

فتجده و كأنه ترجمة لآيات القرآنية أو تعبير عن الحكم النبوية.... الخ“



## الهوامش

- ١- روائع اقبال، ص: ٣٧-٣٨.
- ٢- ارمغان حجاز، ص ٥٢.
- ٣- إشارة إلى الحديث: "من رأى فقد رأى الحق".
- ٤- ارمغان حجاز، ص ٦٥.
- ٥- پیام مشرق، ص ١٦.
- ٦- نفس المرجع، ص ٩١.
- ٧- اسرار خودی، ص ١٤ ترجمة للدكتور عبدالوهاب العزام.
- ٨- رموز بيخودی، ص ١٢٤.
- ٩- بانك درا، ص ١٧٣.
- ١٠- نفس المرجع، ص ٢١٠.
- ١١- روائع اقبال، ص ٤٢.
- ١٢- نفس المرجع.
- ١٣- نفس المرجع.
- ١٤- نفس المرجع، ص ٢٢٠.
- ١٥- بال جبریل، ص ٩٧.
- ١٦- نفس المرجع، ص ٢٣٤.
- ١٧- اقبال = الشاعر السائر، ص: ٢٣.
- ١٨- ماهنامه ادبیات ..... إبریل ١٩٨٠م، ص ٢٤.
- ١٩- روائع اقبال، ص: ٣٧.
- ٢٠- رموز بيخودی، ص ٢١٢.
- ٢١- سورة القلم: ٤.
- ٢٢- أردو مین نعتیه شاعری، ص ٤٥٠.
- ٢٣- اقبال العرب علی دراسات اقبال - مقدمة.

